يعود بعد نصف ساعة، وأن يستقبل ضيوفًا قادمين في هذه الآونة ويعتذر إليهم بعذر همام المفاجئ، ويبلغهم أنه سيرجع بعد هنيهة ليقضي معهم الأصيل حسب الموعد، وقد عاد همام بعد نصف الساعة المقدور فلا أمينًا ولا ضيوفًا وجد في المنزل! وكل ما وجده بطاقات الضيوف في عقب الباب عليها كلمات تشف عن الأسف والاستغراب.

ولبث همام يقدر في ذهنه ما توهمه الضيوف من أسباب مغيبه المتعمد ولا مراء، فإنه لا يخرج في هذه الساعة، وليس للضيوف إلا أن يعتقدوا كل الاعتقاد أنه راغ عن الموعد أو أخفى نفسه وتركهم يرجعون على أعقابهم مسافةً ليست بالهيِّنة ولا بالقصيرة.

وبينما همام يستغرب خروج أمين ولا يدري ماذا أخرجه خاصةً في هذا اليوم الذي سُئِل فيه الانتظار، أقبل السيد أمين يحمل في يديه قازوزتين وقليلًا من الفاكهة والحلوى وهو راضٍ عن نفسه رضى الرجل الضليع بمهام الأمور.

قال أمين وهو يخفي اعتزازه واغتباطه بحسن تدبيره وعرفانه بالواجبات التي ينساها الغافلون: إنك يا صاح قد نسيت أن الثلاجة خالية وأن الضيوف قادمون، وقد ذهبت أحضر لهم بعض الشيء فعسى أن يستطيبوه!

فضحك همام غيظًا وعجبًا من اهتداء صديقه إلى العمل الوحيد الذي لا ينبغي أن يعمل، واعتقاده مع ذلك أنه هو الواجب الذي ينبغي دون سواه، وربت على كتف الصديق قائلًا: أحسنت أحسنت يا مولانا، وما عليك الآن إلا أن تعدو بالقازوزة والفاكهة في أثر الضيوف، فلا شك أنهم منتظروها في الطريق! وأراه البطاقات وما هو مكتوب عليها، فما زاد على أن فغر فاه ونطق بحكمته المأثورة كلما أدرك خطأه: «مدهش! حضروا وعادوا؟ ليس لهم حق! … ما كان يصح أن ينتظروا؟»

نعم، كان يصح أن ينتظروا، أما هو فلا يصح أن ينتظرهم في البيت.

وكان أمين وبعض صحابه يجلسون إلى منتدى على مقربةٍ من مكتب «جماعة المؤاساة» وكلهم من شراة نصيبها المكثرين، فارتفعت الجلبة والصياح من جانب المكتب ونهض أمين يستطلع الخبر، وعاد بعد دقائق فجلس وعلى سيماه قلة الاكتراث وهو يقول: إنما هي النمر الأربع الكبيرة!

فانفجر الصحاب ضاحكين وأطالوا في الضحك، وأمين لا يدري ممَّ يضحكون، حتى سأله أحدهم: أوَاطلعت على النمر؟

فأخذ يفطن لسهوته البارعة، وحاول أن يصلحها كعادته فقال: أوَكنتم تريدون الوقوف عليها؟